روسية فأبت حكومتها ان ترخص للمرسلين ان ينشروا فيه الايمان الكاثوليكي بل لم تسمح للاسقف الكاثوليكي ان يزور الكاثوليك الذين تحت رعايته في پور ارثور. وأملنا ان تعامل في المستقبل هذه الرسالات بالمجاملة واللطف. هدى الله القلوب الى سواء السبيل وانار الامم بنور حقيقته امين

ثلاث مقالات فلسفية

لبولس الراهب اسقف صيداء

سمى بنشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

هذه مرة ثالثة ننشر مقالات لبولس الراهب اسقف صيداء (راجع المشرق ١ : ٨٤٠ و ٤ : ٩٦١). واذ كنا عرّفنا هناك مقام هذا الكاتب وزمانهُ واحوالهُ فنحيل القرّاء الى ما قلناهُ سابقاً. اما هذه المقالات الفلسفية التي ننشرها اليوم فقد وجدناها في مجموع قديم من القرن السادس عشر حملنا عليه آخراً صفحاتهُ ٣٧٨ وفي اوّلهِ تسع مقالات لبولس الراهب فالسادسة والسابعة والثامنة منها (ص ٩٤ – ١٠٧) هي مقالات فلسفيّة ننشرها الآن. وقد وجدناها في مجموع آخر كُتب سنة ١٦٦٦ شبيه بمجموعنا في قسم من مضمونهِ كان في بيت بعض افاضل الروم فحصل عليهِ الخوري قسطنطين باشا واعارنا اياهُ فنشكر لهُ لطفهُ

١

(هذه مقالة لبولس الاب القديس اسقف صيداء الانطاكي يجيب بها على بعض فلاسفة عصرهِ)

اما بعد فاني نظرتُ فيما قالهُ الفيلسوف اطال الله بقاءهُ في الرسالة التي تظلمها «من انهُ ليس يوجد خير بالجملة بلا شرّ ولا شرّ بلا خير لانَّ ما هو للواحد زَعَمَ خير هو للآخر شرّ وما هو للآخر شرّ فهو لمن سواهُ خير. وجعل قياس ذلك الخروف المذبوح وانَّ الذبح شرّ للخروف خير لآكلهِ والانسان المسلوب مالهُ مثل ذلك فالسلب خير للسالب شرّ للمسلوب»

فوجدتُ الامر بخلاف ما ذكرهُ والحال بضدّ ما اوجبهُ وانا اوضح ذلك بتوفيق الله تعالى وابتدئهُ فاقول انَّ العفّة عن الزنا والفسق وما يشكّ احد انّها خير للانسان العفيف. وليس يوجد شرّ مع العفّة لا لفاعلها ولا لغيرهِ. والصوم والصلاة والتعبُّد خير للانسان

الصانع المحسن المتعبد فليس يوجد شرّ لذلك لا لصانعهم (كذا) ولا لغيره والعدل والعفّة والرحمة والعفو عن المجرم خير لفاعلهم وليس مع ذلك شرّ مقترن به لا لفاعلهم ولا لغيره بل خير للمتصرّف في الحكم وللآخذ الصدقة وللمعفوّ عنهُ كذلك الكرم خير للكريم والمتكرَّم عليه وليس معهُ شرّ ومثل ذلك الحلم والامتناع من النميمة والسبّ واجتناب الحسد والحقد خير لفاعلهم غير شرّ لغيرهم بل خير ايضاً. فقد ترى هذه الافعال افعال خير وليس معها شرّ مقترن بها ولا موجود معها لا لفاعلها ولا لغيره حسب ما اوجبهُ. وهذه الأفعال الجميلة التي ذكرتها فهي كلّ الخير المرغوب فيه المنتفع به فاعلهُ في العاجل والآجل المشكور عليه من الله تعالى ومن سائر الناس وهي افعال طبيعيّة مركّبة في الجبلة البشريّة. فامّا اضداد ما ذكرتهُ فهي شرور عاجلة وآجلة وليس معها خير مقرون بها لا لفاعلها ولا لغيره بل رُتّبا لحق بالمفعول به شرّ وليست طبيعيّة مركّبة في الجبلة الانسانية بل دخيلة لانهُ اذا عُدمت الصالحات وُجدت اضدادُها وهي مذمومة بكل لسان عند كل انسان وعند مرتكبها ايضاً اذ ليس يتبعها شيء من الخير بل شرُّها متّصل بالمفعول به. فمن هذا الوجه قد بطل ما اوجبهُ الفيلسوف وذكر انهُ اضطرار لازم وزعم انهُ امرٌ لا بُدَّ منهُ. وانا اورد في الخير والشرّ كلاماً يسيراً متتبعاً ان شاء الله واقول انَّ الخير طبيعيّ والشرّ ليس طبيعي بل هو عدم الخير لانهُ اذا عُدم الخير وجد الشرّ وليس هما شيئين مفترقين ولا مجتمعين معاً. وقياس ذلك الطاعة اذا عُدمت كان العصيان. وكذلك الحياة والموت فاذا عُدمت الحياة كان الموت. وايضاً الضوء والظلمة فاذا عدم الضوء كانت الظلمة. والعفّة والفسق فاذا عُدمت العفّة كان ضدّها. والغنى والفقر وما يجري مجرى هذه الامور. وهذا ما بلغتهُ معرفتي وادركهُ فهمي وقرأتهُ من كلام الفضلاء المتقدمين فان يكن مصيباً فلله الحمد المؤتي من الصخرة ماء ومن العود اليابس ثمرًا لهُ المجد والشكر دائماً امين

٢

ولبولس ايضاً اسقف ميداء جواب للفيلسوف (ص ٦٧–١٠٠)

لمّا بلغني ما حكاهُ الفيلسوف عن السيد المسيح انهُ يُذكَر عنهُ بانهُ احيا الميت وفتح عيني الاكمه وشفى البرص وهذا فيُقال (كذا) انهُ ليس لهُ حقيقة بل لهُ معانٍ وهي انهُ فتح عيني الاعمى القلب واحيا الميت النفس لان مثل هذا قد يقال « ان فلان اعمى القلب »

و « فلان ميت النفس » قائماً على الحقيقة انه احيا ميتاً وفتح عيني اعمى او نقّى ابرص فلا . رأيتُ ان أوضح بعون الله من دلائل العقل لا من الكتاب ما يبطل قول قائل هذا واقول انهُ ما يخفى على احدٍ من الناس اجمعين انَّ دين النصرانية منبثٌ في سائر الامم على اختلاف السنتهم وتشاسع بلدانهم وليس المتحاون لهُ من كل امةٍ واحدًا او اثنين او نفرًا يسيرًا بل هم جمٌ غفير وربَّما كانت الأمة باجمعها مثل النوبة والحبشة والافرنج والروم والانجار (١ والارمن والسريان والروس وغيرهم وهذه الامم الغير قليلة قد كان لهم قبل ظهور النصرانيَّة معبودات واعتقادات وديانات يتمسكون بها فرفضوها واتبعوا انسانًا في ظاهر امره ضعيفًا لا عساكر معهُ ولا جنود ولا اموال لهُ ولا عبيد . ثم بعد ارتفاعهِ عن تلاميذهِ الذين هم الحواريُّون الذين كانوا نفرًا يسيرًا عددهم اثنا عشر نفرًا الذين اتوهم في زيّ الضعفاء المساكين بلا قدرة لهم ولا سلطة عالمية معهم . ثم لم يأتوهم برغبة ولا برهبة ولا بعصبيَّة ولا برخصة ولا بتحسين قول بل الذي قالوه لهم : ان الله ارسل كلمتهُ اي خلقهُ من غير مفارقة لهُ كمثل ضوء الشمس المرسل على الارض من غير مفارقة القرص الوالد لها وكمثل الكلمة التي تخرج من فم الانسان الى من يسمعها من غير مفارقة للعقل الوالد لها . فولد انسانًا من امرأة فاكل وشرب ومات ودفن وقام حيًا فهو باللاهوت ابن الله وبالناسوت ابن مريم لانهُ جوهران(٢ قديم ومحدث واقنوم واحد وليس ابن مباضعة كما نحن من آبائنا بل كالنطق المولود من العقل والضوء المولود من عين الشمس وما يجري هذا المجرى مما هم والدون ومولودون لا من جماع ولا من نطفة ولا الوالد قبل الابن ولا الابن بعد الآب فتركوا معبودات آبائهم ورفضوا ما كان في ايديهم وتبعوهم . ولم يتبعهم فلّاحون وأميُّون ومساكين فقط بل ملوك وحكماء وجبابرة وعلماء وفلاسفة ومنطقيون فلولا الآيات الباهرات والمعجزات العظيمات التي شهدوها من رُسلهم السيّد المسيح التي لا تكون على يدي دُعاة الى مُحال لَما كانوا تبعوهم . وهذا يغني عن الشهادات من الكتب اذ هو اوضح دليل يغني عن كل شرح طويل . فاما من يدفع آيات السيّد المسيح ومعجزات حواريهِ قائلًا قصدهُ بذلك تعطيل كتب

١) كذا في الاصل . وفي نسخة حضرة الاب قسطنطين بائسا « الانجاز » ونظن انَّ المراد الانكليز وكان يقال لهم الانكتار . ولعل الكلمة تصحيف « الانجار »

٢) المراد بالجوهر هنا الطبيعة كما ترى

الله المنزلة منهُ على السن انبيائهِ ودفع الرسل الذين بهم وقع الصلاح من الخواص والعوام وبالله يليق المجد والاكرام من الآن والى الابد امين

٣

ولهُ ايضاً جواب لاحد الفلاسفة من الصابئة (ص ١٠٠ — ١٠٧)

لمَّا تأملتُ ما يراهُ الفيلسوف اطال الله بقاءهُ ان الله تعالى خلق اقواماً باعيانهم للجنَّة وخلق اقواماً باعيانهم للنار وانَّ من هو مخلوق للنَّار لو عمل طول أيام حياتهِ اعمالاً صالحة اسبَّب الله لهُ قبل موتهِ ولو بلحظة عملاً رديئاً يؤدّيهِ للنار وكذلك الذي هو مخلوق للجنَّة لو كمَّل كل زمانهِ افعالاً قبيحة ليسَّر الله لهُ قبل موتهِ ولو ببعض ساعة عملاً صالحاً يدخلهُ الى الجنَّة لاجلهِ. واحتجَّ ان الانسان مربوب والمربوب فلا حكم لهُ في ذاتهِ. فوجدتُ هذا رأياً قبيحاً يبوّر مُعتقدهُ في عطب ليس قليل لان الذي يرى هذا الرأي يوجب اولاً ان ليس ثمَّ عذاب لانَّ كل من خُلق لشيء مُنعَّم فيهِ اذ لهُ خُلق. كحيوان الماء خُلق للماء. وحيوان التراب خُلق للتراب فلو أُخرج احدهما الى ما لا يُخلق لهُ أتلف. ثم انهُ يجعل الله ظالماً اذ يقول انهُ يخلق خاطئاً للنار ثم يأمرهُ ان يخطئ وهو لا يستطيع الى ما أُمر بهِ سبيلاً ثم يعذّبهُ على خطاياهِ بالنار. واقبح الاشياء ان صاحب هذا الرأي يوجب ان لا حاجة الى صوم ولا الى صلاة ولا الى اجتهاد في عبادة ولا الى رحمة وعدل وانصاف ولا الى تطاطئ وخفض جناح ولا الى عفَّة من المحارم التي نُهي الانسان عنها ولا الى الافعال الجميلة التي أُمر بها اذ هذه الامور لا تنفع الانسان ولا تحيدهُ عمَّا خُلق لهُ لانَّ الذي خُلق للنار لا حاجة بهِ الى الافعال الجميلة. كذلك الذي خُلق للجنَّة لا يضرُّهُ شيء من الاعمال الذميمة. غير اني وان كنت من العلم مقتراً والمعرفة معسراً وبالآثام والذنوب موسراً رأيت لاجل مشاركتي للفيلسوف حرسهُ الله في الجنس واتفاقي معهُ في النوع ومؤالفتي لهُ في الفضل ومساهمتي اياهُ في الحسنة وقبولي مثلهُ العرَض ولان المي والمهُ واحد ثم ان الطينة التي جُبلنا منها كلُّها واحدة والامّ لكلَيْنا واحدة والاب لكلَيْنا واحد اعني آدم وحوّاء. وبعد الاخوة نحن بنو عمّ لاننا ننتسب الى ابراهيم وانا ايضاً غريبان وقد قيل:

اجارتنا انَّ غريبان هاهنا وكلُّ غريب للغريب نسيبُ

وقد جمعتنا بلدة واحدة وكلانا نتكلّم بلسان واحد ومن جهة التمثال نحن ايضاً واحد حسبما قيل :

الناس من جهة التمثال آلافٌ ابوهم آدمٌ والامّ حوّاء

فان يكن لهم في ما مضى نسب يتفاخرون به فهو الطين والماء وليس مخالفتنا في المذهب تبعدنا من هذه المجانسات والمناسبات ولذلك اشير عليه ان يرجع الى الصواب ويهمل الهوى الذي قد اهلك كثيرًا من الناس الذين غلب تقواهم . وليعلم ان قولهُ بان الرب متحكم في الربوب ما يجب ان يُحمل على الربوب في سائر الوجوه بل على بعضها لانَّ ذلك ما يُحمل على الحيوان الغير ناطق في سائر الاحوال بل على بعضها فضلًا عن الناطق . لأنّا قد رأينا الحيوان الغير ناطق المربوب مجبّرًا في امور ومخيّرًا في غيرها . فامّا الاحوال التي هو مجبر عليها فمثل قلّة العلوفة وكثرتها والكدّ في العمل والترفه والاهتمام به والاهمال لهُ وما يجري هذا المجرى . واما ما هو مخيّر فيه فالحمار والجمل وما يجري مجراهما ان اراد ان يمشي ويجري بحمله وان اراد ان يقف . وكذلك الثور ان اراد ان يحرث وان نشاء ان ينام . فاذا كان الحيوان الغير ناطق مجبرًا مخيّرًا الذي ليس لهُ امرٌ ولا نهي من ربّه اعني قانيهُ ولا وعيد بنعيم ولا وعيد بتخلّد جهنم أفيكون الحيوان الناطق الذي قد وُعد بالنعيم عن الجميل وأُوعد عن القبيح بالجحيم وأُمر ونهي مجبرًا لا مُخيّرًا ؟ كلّا

بل يجب ان تعلم أيها الحكيم أيدك الله بان الانسان اجلّ ما خلقهُ الله لانَّ الجميع من المخلوقات لهُ خُلقت اذ البارئ تعالى غنيٌّ عن جميعها وليس به حاجة الى شيء منها واذا كان الانسان حافظًا لاوامر خالقهِ سالكًا في وصاياهُ كان افضل من الملائكة لانَّ تلك ارواح لا اجسام لها امّا الانسان فشاكل الحيوان الغير ناطق بالجسم ومشابه الملائكة الروحانيين الناطقين بالنفس الناطقة الحيّة العاقلة . ولذلك اذا علا الانسان على الاعراض كان افضل من الملائكة . فمَنْ هذه صورتهُ وقد خلقهُ الله جودًا وإنعامًا أيكون مجبرًا في جميع الامور لا مخيّرًا في بعضها مما يؤديه الى النعيم او يخلده الى الجحيم ؟ كلاّ . ولو انَّ الامر كما يزعم الفيلسوف واعوذ بالله لكان اخسّ الحيوان وادناهُ افضل من الانسان لانَّ ذلك خُلق دنيئًا حقيرًا ثم انهُ يَفنى فتنقضي ذاتهُ وحقارتهُ التي ليس هي مثل صورة السبع على غيرهِ من الوحوش وصورة الفيل على غيرهِ من البهائم ويكون الانسان يُخلق خاطئًا ثم يموت ويعذّب على خطاياه التي خُلق عليها

الى ابد الابد ؛ معاذ الله من هذا الرأي القبيح . فاما الذي ليس له اختيار ولا استطاعة مثل الارض والمنازل والنباتات والكسيح والجلا وما يجري هذا المجرى مما ليس هو حيا ولا حيا ناطقاً أفيحسن بالانسان ان يجعل ما هو لغير حي ولا ناطق للحي الناطق الذي قد رتبه الله بالعقل وجعله سيداً وربا لجميع ما خلقه وخصه بالفطنة والتمييز لدقائق الامور واعطاه ما يصل به الى معرفة باريه . وان كان ليس على حقيقة ذلك بل حسب ما تبلغه استطاعته اذ هو مخلوق ثم يشكره على انعامه ويعرف جلالته وقوته وقدرته ويعلم انه خلقه تفضلا منه وانعاما وامره ونهاه لمصلحته وما يعود لمنفعته وجعله مسلطا على ما أمر به فيما نهاه عنه وان العقوبة عليه اذا عصاه لما خوله من الاستطاعة وان الثواب يضاعف له على الطاعة ويتحقق انه جعله مجبرا على امور لا يقدر هو على دفعها عن نفسه ولا ورودها عليه مثل الصحة والسقم والحياة والموت والغنى والفقر وبقية الاحوال التي لا يقدر يتقلب في واحد منها باختياره وذلك ليلتجئ الى خالقه فيما يدهمه مما يكرهه ويشكره على ما يسره ويعلم ان له ربا محبا للخير آمرا به مبغضا للشر ناهيا عنه وان ما نهى عنه لما يؤثره وما أمر به لما يكرهه . فاذا اتاه شيء مما يسوءه بغير اختياره يصبر عليه ويهرب منه اليه ويعلم ان له في ذلك فائدة ومنفعة مذخرة له وان كانت عنه خفية الآن . أفمن هذه الصورة صورته يكون مجبرا لا مخيرا ؛ كلا

ولما قلت ان الله اذا علم شيئا لا يكون الا ما يعلمه قلت ان الله تعالى لا يعلم لا شيء بل يعلم الاشياء وانه خلق الانسان واعطاه استطاعة على فعل الخير وان اراد الشر وامره بالخير ونهاه عن الشر . فاذا علم منه انه يفعل الخطأ وليس العلم سابقا الانسان الى الفعل بل الفعل صار سببا للعلم . ولذلك اخفى الباري تعالى العلم عن الانسان . فلو قال الانسان : « اذا أخطئ يا رب انت علمت مني اني لا بد لي من ان أخطئ وما كان لي عن ذلك مندوحة » . فيقول له : « ياشقي من اين علمت اني علمت انك تخطئ ولم لم تعلم اني علمت انك تصيب وعلمي مستور عنك وعلمك وخطأك سبقا في علمي بان علمت ما انت فاعل ليس انك فعلت ما علمت اني عالمه » فتكون الحجة لازمته والعقوبة واجبة عليه بل الذي يجب ان يقال ان الله تعالى خلق الانسان خيرا جيدا لانه تعالى بدء الخير ومعطي الخير ومعاذ الله ان يخلق شريرا او شيئا

مما يلائم الشرّ . ثمّ امره بفعل الخير الذي خلقهُ عليهِ ونهاهُ عن القبيح الذي لم يُخلَق لهُ واعطاهُ الاستطاعة بفعل ما اراد من الجهتين فاراد هو لسوء فعلهِ وجهلهِ بالله وجزاءته على القبيح ان يفعل الشرّ فليس علم البارئ تعالى اوجب لهُ فعل ما فعل ولو كان فعلَ الجميل لكان سابق العلم ايضاً قد علم بذلك منهُ ولو ان سابقَ العلم سابقٌ الى احدى الجهتين لكان يسوق الى الخير الذي يحبُّهُ ويؤثرهُ لا الى الشرّ الذي يبغضهُ ويكرههُ وما كان يستوجب الجاني عتاباً ولا المصيب ثواباً بل الفعل الذي أوجب للفاعل الثواب او العقاب على ما فعل لا على ما علم الله منهُ . وقنا الله لطاعتهِ وجنّبنا معصيتهُ واعاذنا من عذابهِ وجاد علينا برحمتهِ وخلّدنا جنّتهُ فانّ بهِ يليق المجد والاكرام والشكر والاعظام من الآن والى الابد امين

اكتشاف اشعّة جديدة

بحث للاب بطرس دي فراجيل اليسوعيّ مدرس الطبيعيات في مكتبنا الطبيّ (تتمّة)

قلنا في مقالة سابقة انهُ فضلاً عن الاشعّة المنظورة يوجد عددٌ لا يُحصى من اشعّة اخرى شديدة الفعل طبيعياً وكيميائياً منها الاشعّة المعروفة قبلاً وهي التي دون الاحمر وما وراء البنفسجيّ . ولمّا بيّن ه . هرتس باختباراتهِ وجود الارتجاجات الكهربائية الجارية على سياق قرارات متوالية ما لبث هتُورف (Hittorf) ان يكتشف سنة ١٨٨٦ الاشعّة الكاثودية . ثم جاء بعدهُ رنتجن فاثبت ان هذه الاشعّة الكاثوديّة في بعض الاحوال تنتج اشعّةً جديدة دعوها باسمهِ اشعّة رنتجن او الاشعّة المجهولة (rayons X) . ثم واصل العلماء ابحاثهم فاستدلّوا على انّ الاشعّة الكاثوديّة قسمان قسمٌ منها يجذبهُ المغناطيس وقسم آخر لا فعل للمغناطيس فيهِ وتحقّقوا انهم اذا فتحوا منافذ في كاثود زجاجة أفرغ هواؤها انبعثت اشعّة اخرى دعاها الطبيعي غلدشتين (Goldstein) الاشعّة الاسطوانيّة (Kanalstrahlen) وتقرّر آخراً لديهم انّ لاشعّة رنتجن ملحقات وهي جملة اشعّة ثانويّة مختلفة لكلّ منها خواصّها

وكل هذه المظاهر كانت معروفةً شائعة لمّا قام العلامة الفرنسوي ه . بكرل (Becquerel) واخبر في ٢٤ شباط من سنة ١٨٩٦ انهُ لحظ اشعّة مناسبة لاشعّة